جامعة الوصل
ALWASL UNIVERSITY

جامعة الوصل
AL WASL UNIVERSITY

كتاب

مؤتمر الدراسات العليا والبحث العلمي

والموسوم بـ

(قراءة النص- الإشكاليات والمناهج)

جامعة الوصل – الإمارات العربية المتحدة

2021 م

جامعة الوصل
ALWASL UNIVERSITY
جامعة الوصل
AL WASL UNIVERSITY

كتاب

مؤتمر الدراسات العليا والبحث العلمي

والموسوم بـ

قراءة النص – الإشكاليات والمناهج

جامعة الوصل – الإمارات العربية المتحدة

2021

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة السلام على من المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آهله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.. أما بعد.

فإن هذا الكتاب ثمرة يانعة، ونتاج قيِّم لما قُدِّم من بحوث، إلى المؤتمر الدولي الثاني للدراسات العليا الذي عُقد في جامعة الوصل بدبيّ يومي (25-24) من شهر نوفمبر لعام 2021م، وقد حمل عنوان (قراءة النص - الإشكاليات والمناهج)؛ حيث شرع هذا العنوان الباب على مصراعيه لطرح كثير من القضايا المحورية والمفاهيم الشائكة ذات الصلة بقراءة النص، في إطار محاور ثلاثة: أولها- النص بين المصطلح والمفهوم، وثانيها- قراءة النص بين التراث والمعاصرة، وثالثها- جدلية العلاقة بين النص وفهمه.

وبعد تحكيم الأبحاث المقدمة تم اختيار تسعة وعشرين بحثًا يعالجون قراءة النص من وجهتيه النظرية والتطبيقية، مع اتساع رقعة التطبيق لتشمل الأنماط المختلفة للنص: اللغوية، والشرعية، والاجتماعية، والإعلامية.

وكانت البحوث المختارة خير شاهد على ما اتسم به المشاركون من اختلاف في الثقافات، والبيئات، والمؤسسات المنتمين إليها، إلا أن جامعهم الأكبر ما تمتعوا به من خبرات عريضة، ورؤى متجددة، ومشاركات فاعلة.

وأما عن منهج ترتيب البحوث في هذا الكتاب فقد حاولنا أن نراعي فيها أولية التقديم، وفق الترتيب الزمني لجلسات المؤتمر، بغض النظر عن طبيعة النص أو نوع الخطاب الذي تناوله البحث؛ ذلك بعد أن قامت لجنة معنية بإعادة مراجعة وتدقيق تلك البحوث. وقد أفردنا باحثي (سمينار الوصل)، وهم طلاب الدراسات العليا الذين كان المؤتمر يرمي إلى أن يستفيدوا من زملائهم الباحثين في كل أرجاء المعمورة- أفردنا لهم قسمًا خاصًّا هو (سمينار الوصل).

ويسعدنا في هذا الصدد أن نسوق أبلغ معاني الشكر والتقدير لمعالي جمعة الماجد رئيس مجلس أمناء جامعة الوصل، لما أحاط به المؤتمر من رعاية كريمة، ولسعادة مدير الجامعة أ.د. محمد أحمد عبد الرحمن لدعمه الحثيث، ومتابعته المتواصلة، وتوجيهاته السديدة.

كما نقدم جزيل الشكر والتقدير إلى نيابة البحث العلمي واللجان العلمية، والتنظيمية، والتحكيمية، التي أسهمت في نجاح هذا المؤتمر، سائلين الله -تعالى- المزيد من الرقي والتقدم، والرفعة.

د. إبراهيم ربابعة

الرئيس التنفيذي للمؤتمر الدولي الثاني للبحث العلمي

موقف اللغويين من العناصر غير اللغوية في التحليل النصي

أ. د. أحمد عبد الرحيم أحمد فراج

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد:

فإن الكلمات والجمل والعبارات الهدف منها توصيل رسالة من المتكلم إلى السامع، هذه الرسالة قد تكون مباشرة لا تحتاج إلى تأويل أو تفسير وإنما يكون المعنى فيها متبادرًا بمجرد النطق بها، ويحدث ذلك غالبًا في الأمور العادية وقضاء الحوائج اليومية كأن نقول مثلًا أعطني كوبًا من الماء، وأطع والديك... إلخ، ولكن هناك بعض الرسائل تتجاوز المعنى المباشر، وتهدف إلى معنى بعيد وهنا يتفاوت الناس في فهم ذلك المعنى وإدراك مراد المتكلم بحسب فهم قصد المتكلم والملابسات والعوامل التي تحيط بالرسالة اللغوية.

وثمة سؤال يطرح نفسه: هل اللغة المنطوقة بمكوناتها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالة المعجمية قادرة على توصيل الرسالة إلى المخاطب أو الأمر يتوقف على معرفة العوامل الخارجية المحيطة بالرسالة؟

هناك فريقان من اللغويين في هذا الأمر، فريق يرى أن اللغة في حد ذاتها قادرة على توصيل المعنى المراد للسامع أو المخاطب دون الاستعانة بأي عوامل من خارج نطاق اللغة، وفريق آخر يرى أن العوامل الخارجية المحيطة بالنص أو الرسالة تلعب دورًا مهمًا في فهم النص وتفسيره وتأويله.

فقد ذهب كثير من اللغويين إلى أثر الموقف والمقام والمتكلم والمخاطب والملابسات المحيطة بجو النص في تحديد المعنى وبيان المقصود، كما قالوا بضرورة مراعاة العناصر والمتغيرات الخارجية التي تحيط بالمادة اللغوية، وهي عناصر مهمة في مجال علم الدلالة الوصفي، وهو الأساس الذي تبنى عليه الدلالة الاجتماعية التي تتمثل في الملابسات والأحداث والعلاقات التي تصاحب الموقف اللغوي.

فالمعنى المعجمي أو القاموسي غير كاف في بيان المعنى بل هو جزء من المعنى وثمة عناصر غير لغوية تؤدي إلى اكتمال المعنى وفهم مقصود الكلام والغرض منه بهدف الوصول إلى المعنى الدقيق الذي يريد المتكلم إيصاله إلى السامع أو المخاطب.

وفي الوقت ذاته ذهب بعض اللغويين إلى أن مراعاة العناصر غير اللغوية في التحليل

اللغوي ليس أمرًا حتميًا، ومن هؤلاء اللغوي السويسري دي سوسير الذي يرى أن اللغة ينبغي أن تدرس في ذاتها ومن أجل ذاتها، وأيد هذا الرأي أيضًا جيوفري ليتش (Geoffrey Leech) الذي يرى أن تفسير الظاهرة اللغوية خارج إطار اللغة يشبه البحث عن منفذ للخروج من حجرة ليس لها نوافذ ولا أبواب بمعنى أن تدرس اللغة في إطار العلاقات داخل اللغة وليس خارجها.

وما زال الصراع قائمًا بين أنصار البنيوية الذين يرون ضرورة الاعتماد على البنية اللغوية في تفسير اللغة، وبين علماء سياق الحال أو الموقف الذين يرون أن العوامل غير اللغوية موجهة ومحددة للمعنى، والحقيقة أن الاتجاهين متكاملان في دراسة الظاهرة اللغوية؛ إذ ليس من الممكن دراسة اللغة دون الاعتماد على الجانب الشكلي، وليس من الممكن أن تظل دراسة النظام اللغوي واسعة المعنى ومبهمة المدلول على الرغم مما قرره دي سوسير من أن اللغة تدرس في ذاتها ومن أجل ذاتها، من أجل ذلك أخذت جهود عدد من الباحثين تتجه إلى التوفيق بين أصحاب البنيوية والجانب الشكلي وبين أصحاب الجوانب الاتصالية والمقامية.

وقد اقتضت خطة هذا البحث أن يأتي في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

أما المقدمة فتكلمت فيها عن اختلاف علماء اللغة في حتمية النظر إلى العناصر غير اللغوية في التحليل النصي أو عدم حتميتها، وذلك بناء على المنهج المتبع في الدراسة، فأصحاب المنهج الشكلي سواء أكانوا من البنيويين أو التوليديين أو التحويليين يرون عدم حتمية دخول العناصر غير اللغوية في التحليل النصي، وإنما يكتفى بالعناصر اللغوية وتدرس اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها.

أما أصحاب سياق الموقف والتداوليون فيرون أن إدخال العناصر غير اللغوية أمر حتمي في التحليل اللغوي ولا يتحدد المعنى إلا من خلال معرفة الملابسات والظروف الزمانية والمكانية والأشخاص المحيطين بجو النص.

أما المباحث فقد جاءت على النحو الآتي:

المبحث الأول: تحدثت فيه عن مفهوم النص، وأثر نظرية النظم لدى عبد القاهر الجرجاني في وضع أسس وقاعد علم النص، وأهمية الدراسة النصية.

المبحث الثاني: ذكرت فيه رأي المعارضين لحتمية دخول العناصر غير اللغوية في التحليل النصي وعلى رأسهم مؤسس المدرسة البنيوية اللغوي السويسري فردينان دي سوسير وأصحاب المنهج الشكلي من التوليديين والتحويليين.

المبحث الثالث: تكلمت فيه عن رأي المؤيدين لحتمية دخول العناصر غير اللغوية في التحليل النصي وعلى رأسهم أصحاب سياق الحال والتداوليون، والذين ذهبوا إلى أن النص لا يكون نصًا إلا إذا تحققت منه القصدية والمقبولية وهما من خارج النظام اللغوي.

أما الخاتمة فذكرت فيها أبرز النتائج التي استخلصتها من هذه الدراسة، والله أسأل أن ينفع بها طلاب العلم والدارسين والباحثين، وأن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وذخرًا لي عنده يوم الدين، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول: مفهوم النص وأهمية الدراسة النصية

ظل البحث اللغوي فترة طويلة يعتمد على الجملة في التحليل اللغوي واعتبرها أكبر وحدة يمكن أن ينتهي إليها اللغوي في تحليله، وقد استعمل اللغويون العرب مصطلح (الكلام) بمعنى الجملة فنجد ابن هشام يعرف الكلام بأنه: «اللفظ المفيد فائدة يحسن السكوت عليها»[1]، فكل ما أفاد فائدة يحسن السكوت عليها فه-و كلام، وهو المعنى نفسه الذي يفيده مدلول الجملة، والفرق بينهما أن الكلام لابد أن يفيد، أما الجملة فيمكن أن تفيد ويمكن ألا تفيد فائدة يحسن السكوت عليها كما في جملة الشرط أو جملة الصلة أو جملة القسم، ويتبين ذلك من قول السيوطي: «ذهبت طائفة إلى أن الجملة والكلام مترادفان، وهو ظاهر قول الزمخشري في (المفصل)، فإنه بعد أن فرغ من حد الكلام قال: ويسمى الجملة[2].

1- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك للإمام/أبي محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف الأنصاري المعروف بابن هشام المصري 1/11، تحقيق/محمد محيي الدين عبد الحميد، ط/منشورات المكتبة العصرية صيدا - بيروت.

2- عرف الزمخشري الكلام بأنه: «المركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى، وذلك لا يتأتى إلا في اسمين كقولك: زيد أخوك وبشر صاحبك، أو في فعل واسم، نحو قولك: ضرب زيد، وانطلق بكر وتسمى الجملة «ينظر: المفصل في علم العربية تأليف/أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ص 32، تحقيق د/فخر صالح قدارة، ط/دار عمار للنشر والتوزيع بالأردن سنة 1425 ه -- 2004 م.

والصواب أنها أعم منه إذ شرطه الإفادة بخلافها، قال ابن هشام في (المغني): ولهذا تسمعهم يقولون: جملة الشرط، جملة الجواب، جملة الصلة، وكل ذلك ليس مفيدًا، فليس كلامًا»[1].

وقد سار على هذا المنهج اللغوي الأمريكي ليونارد بلومفيلد وتلاميذه الذين ذهبوا إلى أن الجملة هي أكبر وحدة في التحليل اللغوي والوصف، ونظروا إلى النص على أنه مظهر لغوي متشعب ومتسع وغير قابل للتحديد أو الحصر.

حتى ظهرت في العصر الحديث وحدة أكبر من الجملة يمكن الاعتماد عليها في التحليل اللغوي ألا وهي (النص)، باعتبار أنه وحدة متكاملة متماسكة مترابطة ولا يمكن الفصل بين أجزائها وإلا اختلت الدلالة ولم يكتمل المعنى المراد أو الدلالة المقصودة.

فالمحدثون من اللغويين يرون أن النص هو أكبر وحدة في التحليل اللغوي، ومن هنا دخلت النصية أو علم النص دائرة التحليل اللغوي، واختلف في مؤسس هذا العلم، فيرى أحد الباحثين أنه لم يبدأ الاتجاه إلى (نحو النص) يفرض وجوده إلا مع بدايات النصف الثاني من القرن العشرين، حين نشر زليج سبتاي هاريس دراستين اكتسبتا أهمية منهجية في تاريخ اللسانيات الحديثة تحت عنوان «تحليل الخطاب[2] (Discourse Analysis) سنة 1952م، ويقول د/سعد مصلوح: «إنه بهاتين الدراستين لم يكن أول لساني حديث يعتبر الخطاب موضوعًا شرعيًا للدرس اللساني فحسب، بل إنه جاوز ذلك إلى تحقيق قضاياه التي ضمنها برامجه بتقديم أول تحليل منهجي لنصوص بعينها»[3]، وفي هاتين الدراستين يرى هاريس أن الدراسة اللغوية لا بد أن تتجاوز أمرًا ارتبط بالدراسات اللسانية حتى عصره وهو: حصر التحليل اللغوي على الجملة أو الجمل والعلاقات التي تربط بينها، وبدأ الاتجاه إلى (ما وراء الجملة) أو إلى وحدة أكبر من الجملة لتكون وحدة التحليل اللغوي.

وذهب د/سعيد حسن بحيري إلى أن الإرهاصات الأولى لهذا العلم بدأت قبل ذلك بأربعين سنة، وذلك عندما قدمت الباحثة الأمريكية ناي I.Nye أطروحتها للدكتوراه عام

1- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع للإمام/جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي 1/49، تحقيق/أحمد شمس الدين، ط/منشورات محمد على بيضون دار الكتب العلمية بيروت - لبنان سنة 1418 ه - 1998 م.

2- المقصود بالخطاب هنا النص.

3- العربية من نحو الجملة إلى نحو النص د/سعد مصلوح ص 408، وهو بحث منشور ضمن الكتاب التذكاري لذكرى أ/عبد السلام محمد هارون، طبعة الكويت سنة 1990 م.

1912 م[1]، وتضمنت فصلاً يبحث في الربط بين الجمل والظواهر المحددة للعلاقات الداخلية بين الجمل.

وأصبح علم النص علمًا مكتمل الأركان على يد هاليدي ورقية حسن عندما ألفا كتابًا مشتركًا بعنوان (الاتساق في الإنجليزية) وذلك سنة 1976 م، وفي سنة 1980 م قدم روبرت دي بوجراند وولفجانج دريسلر منهجًا شاملًا في كتابهما (مدخل إلى علم لغة النص).

وهذه النظرية ليست غريبة على الدرس اللغوي عند العرب فقد وضع اللغوي العبقري الإمام عبد القاهر الجرجاني أسس ومبادئ نظرية النظم، هذه الأسس هي التي اعتمد عليها المحدثون في وضع قواعد علم النص.

وتعد البذرات التي وضعها الإمام عبد القاهر في نظرية النظم هي التي أثمرت فيما بعد علم النص، فإن الإمام عبد القاهر حاول وضع أسس نظرية النظم وتحدث عن الفصاحة والأسلوب والسبك والحبك والربط، حيث لا يعد النظم نظمًا إلا إذا كان وحدة واحدة، وهناك اتصال بين أجزائه، ويرتبط أوله بآخره، ويتصل آخره بأوله، وهذه المعاني هي التي نادى بها مؤسسو علم النص وخاصة رائد علم النص (روبرت دي بوجراند).

لكن قبل الحديث عن موقف اللغويين من العناصر غير اللغوية في التحليل النصي ينبغي أن أسلط الضوء على مفهوم النص ومعنى علم النص، ويمكن بيان ذلك فيما يلي:

يعتبر مصطلح (علم البلاغة) هو المصطلح السابق لذلك العلم الذي عرف حديثًا باسم (علم النص)، وقد أشار اللغوي الهولندي إلى هذا المعنى عندما قال: «ويمكن أن نعد البلاغة السابقة التاريخية لعلم النص، إذا ما تأملنا التوجه العام للبلاغة القديمة إلى وصف النصوص ووظائفها المتميزة، إلا أنه لما كان اسم البلاغة يرتبط غالبًا بأشكال ونماذج أسلوبية معينة وأشكال ونماذج أخرى، فإننا نؤثر المفهوم الأكثر عمومية (علم النص)»[2].

والمصطلح السابق لذلك العلم في اللغة الإنجليزية هو مصطلح (تحليل الخطاب discourse analysis)[3].

1- علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات تأليف د/سعيد حسن بحيري ص 33، ط/مؤسسة المختار للنشر والتوزيع سنة 2003 م.

2- علم النص مدخل متداخل الاختصاصات تأليف فان دايك ترجمه إلى العربية د/سعيد حسن بحيري ص 23 ط/دار القاهرة للكتاب سنة 2001 م.

3- السابق ص 14.

وإذا كان اللغويون لم يتفقوا على تعريف واحد للجملة فهم - أيضًا لم يتفقوا على تعريف موحد لتعريف النص يقول د/سعيد بحيري: «ولم يكن حظ مصطلح (نص) أسعد حالًا من مصطلح (جملة)؛ فثمة اختلاف شديد في تعريف النص... إلى حد التناقض أحيانًا، والإبهام أحيانًا أخرى»[1].

وقد حاول بعض اللغويين توضيح مفهوم النص، ومن هؤلاء روبرت دي بوجراند الذي عرف النص بأنه: «فعل اتصالي تتحقق نصيته إذا اجتمعت له سبعة معايير وهي: الربط والتماسك والقصدية والمقبولية والإخبارية والموقفية والتناص»[2].

فالربط النحوي معناه: التلاحم بين الكلمات ويسمى الالتحام أو التقارن أو الحبك، والتماسك الدلالي أو (السبك) معناه: أن تتماسك أجزاء النص دلاليًا من غير وجود فراغات أو ثغرات عند توصيل المعلومات، والقصدية معناها: التعبير عن الهدف الذي أنشئ النص من أجله، والمقبولية معناها: أن يكون النص مقبولًا للمتلقي، والإخبارية أو الإعلامية وهى تتعلق بجدة النص، والموقفية ومعناها: مناسبة النص للموقف، والتناص معناه: تداخل النص مع نصوص أخرى مرتبطة به، «ومن هذه المعايير السبعة معياران تبدو لهما صلة وثيقة بالنص: (السبك والالتحام)، واثنان نفسيان بصورة واضحة: (رعاية الموقف والتناص)، أما المعيار الأخير (الإعلامية) فهو بحسب التقدير، ولكن يظهر من النظرة الفاحصة أنه لا يمكن لواحد من هذه المعايير أن يفهم دون التفكير في العوامل الأربعة جميعًا: اللغة، والعقل، والمجتمع، والإجراء»[3].

وهذه المعايير السبعة التي وضعها روبرت دي بوجراند وولفجانج دريسلر لا يشترط أن تتوفر في كل نص، بل يتحقق اكتمال النص واستيفاؤه لجميع الشرائط بوجود هذه العناصر مجتمعة، يقول د/سعيد بحيري: «وأكثر العلامات النصية شيوعًا هي البناء الاتصالي والربط النحوي والتماسك الدلالي والقصدية، غير أنهما لا يعنيان (أي: درسلر وبوجراند) ضرورة تحقيق هذه المعايير السبعة في كل نص، وإنما يتحقق الاكتمال النصي بوجودها»[4].

1- علم لغة النص ص 125 (بتصرف يسير).
2- السابق ص 167.
3- النص والخطاب والإجراء، تأليف/روبرت دي بوجراند، ترجمة د/تمام حسان ص 106، ط/عالم الكتب بالقاهرة، سنة 1418 ه- -. 1998 م.
4- علم لغة النص ص 167.

وقد عرف د/طه عبد الرحمن النص بقوله: «كل نص هو بناء يتركب من عدد من الجمل السليمة مرتبطة فيما بينها بعدد من العلاقات»[1]، هذه العلاقات قد تكون بين جملتين، أو بين أكثر من جملتين، وقد يكون هذا الربط مباشرًا، وقد يكون غير مباشر عن طريق علاقات أخرى تصل بين الجمل.

وعرف هارتمان النص بقوله: «أي قطعة ذات دلالة وذات وظيفة»[2]، هنا يشير إلى أمر جوهري وهو حدود النص، أو متى يسمى النص نصًا، فهو يرى أن نصية النص إنما تتحقق بإفادة معنى تام وكامل وله وظيفة تبليغية يهدف إلى توصيلها.

وثمة بعض المصطلحات التي يكثر دورانها في هذا المجال، ومن تلك المصطلحات (علم دلالة النص)، ومصطلح (علم نحو النص) ومصطلح (التداولية النصية) وهى مصطلحات متقاربة يمكن أن يجمعها مصطلح واحد وهو مصطلح (علم لغة النص)، «وقد ع-د المصطلح الذي استخدمه هارفج (Harwig,R) للدلالة على هذا الاتجاه الجديد في بحث النص، وهو مصطلح (textologie) أكثر قبولًا، وأما التقسيم الذي استخدمه درسلر (R, Dressler) وهو علم دلالة النص، وعلم نحو النص والتداولية النصية فهو أفضل في رأي سويسنكي على الرغم من أنه لا يزال غير كاف لكي يشيع مصطلح (علم لغة النص) غير أنه يرى أنه قد صار مصطلحًا جامعًا لكل البحوث المتعلقة بالنص»[3].

وعلى الرغم من كثرة التأويلات والتفسيرات لمفهوم النص فإن أهم ما يميزه هو اكتمال المعنى واكتفاؤه «إن مفهوم النص يقتضي أن التحليل يبدأ بالوحدة الكبرى التي ترسم حدودها عن طريق تعيين الفواصل والقواطع الملموسة لاتصالها، ومعنى ذلك أن علينا أن نضحي بفكرة الطول في سبيل الوصول إلى النص المستدير المكتمل، الذي يحقق مقصدية قائله في عملية التواصل اللغوية، وقد تستخدم في هذا المجال فكرة (انغلاقه على نفسه) محورًا لتحديد هذا الاكتمال، لا بمعنى عدم قبوله للتأويلات المختلفة، وإنما بمعنى اكتفائه بذاته، فيصبح النص هو: القول اللغوي المكتفي بذاته، والمكتمل في دلالته»[4].

1- في أصول الحوار وتجديد علم الكلام تأليف د/طه عبد الرحمن ص34، ط/المركز الثقافي العربي الدار البيضاء سنة 2000 م.
2- علم لغة النص ص 125.
3- علم لغة النص ص 62.
4- بلاغة الخطاب وعلم النص د/صلاح فضل ص 214، ط/سلسلة عالم المعرفة سنة 1992 م.

الحاجة إلى التحليل النصي:

هناك اتجاه في عصرنا الحاضر إلى التحليل النصي، بمعنى النظر إلى النص أو الكلام على أنه كتلة واحدة، وليس النظر إلى أجزاء الجملة، أو إلى الجملة أو المتواليات الجملية، فالنص ككل هو وحدة التحليل اللغوي.

«ويتميز التحليل النصي عن تحليل الجملة، إذ إنه يبدأ التحليل النحوي باجتزاء الجمل، وعزلها تقريبًا عن سياقها في النص أو الخطاب، ويصبح السلوك اللغوي مجرد تحقيق لا نهائي لعدد من نماذج الجملة... أما النص فليس إلا سلسلة من الجمل، كل منها يفيد السامع فائدة يحسن السكوت عليها، وهو مجرد حاصل لجمل أو لنماذج الجمل الداخلة في تشكيله، نحو النص - إذن - لا يقر للجملة بالاستقلال، وهذا مبدأ أساسي يؤدي حتمًا إلى أن نحو الجملة غير كاف لوصف تتابعات كبرى متجاوزة للجملة، وظواهر تتعلق ببنية النص ككل»[1].

وهذا لا ينفي التداخل والاشتراك بين الجملة والنص، حتى نجد كلاوس برينكر يعرف النص بقوله: «تتابع مترابط من الجمل»[2]، ويستنتج من ذلك أن الجملة بوصفها جزءًا صغيرًا ترمز إلى النص، ويمكن تحديد هذا الجزء بوضع نقطة أو علامة استفهام أو علامة تعجب، ثم يمكن بعد ذلك وصفها على أنها وحدة مستقلة نسبيًا»[3].

ويمكن القول بأن الجملة تستعمل كثيرا في التحليل النحوي، أما التحليل الدلالي فلا بد من النظر إلى النص على أنه وحدة التحليل اللغوي.

لكن علم النص ينبغي أن يتجاوز حدود الجملة حتى يكون علمًا مستقلًا بذاته، وقد حاول دي بوجراند رصد نقاط الخلاف الجوهرية بين الجملة والنص وذكر ذلك في دراسة بعنوان: (النص في مقابل الجملة)، ويمكن تلخيصها في النقاط الآتية:

1- النص نظام فعال والجمل عناصر من نظام افتراضي.

2- الجملة مبنية على القاعدة، والنص يعرف تبعًا للمعايير النصية.

1- علم لغة النص ص 173 و 174.

2- التحليل اللغوي للنص مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج ص 24، ترجمة د/سعيد حسن بحيري، ط/مؤسسة المختار للنشر والتوزيع بالقاهرة سنة 2005 م.

3- علم لغة النص ص 126.

3- النص يتكون من سياق الموقف والتركيب الداخلي للنص أو سياق البنية، أما الجملة فلا يمكن التقنين لطولها أو عدد مكملاتها بحيث يتوقف بعده تتابع العناصر لتصبح الجملة جملة.

4- النص تجلٍ لعمل إنساني ينوي به شخص أن يوجه السامعين إلى أن يبنوا عليه علاقات مختلفة، أما الجملة فليست عملًا؛ ولهذا كانت ذات أثر محدود في المواقف الإنسانية؛ لأنها تستعمل لتعريف الناس كيفية بناء العلاقات النحوية فحسب.

5- النص توالٍ لحالات انفعالية واجتماعية، وفي المقابل يجري النظر إلى الجمل بوصفها عناصر من نظام ثابت متزامن.

6- الأعراف الاجتماعية تطبق على النصوص أكثر مما تطبق على الجمل، فالوعي الاجتماعي ينطبق على الوقائع لا على أنظمة القواعد النحوية.

7- العوامل النفسية أوثق علاقة بالنصوص منها بالجمل[1].

لماذا لا تكون الجملة كافية للتحليل اللغوي؟

فالجملة وحدها غير كافية للتحليل اللغوي يتبين ذلك من النص الآتي: «وحدة الجملة وحدها ليست كافية للوصف اللغوي»، بالإضافة إلى «الحاجة إلى معلومات الجملة السابقة (السياق اللغوي) لتفسير جملة قائمة»[2].

فهناك بعض الجمل لها تعلق بما قبلها أو بما بعدها؛ ولذا لا تستقل بالدلالة التامة أو تتحقق بها الفائدة، فجملتا الشرط والقسم تحتاجان إلى جواب، وجملة الصلة تفتقر إلى موصول.

من ذلك يتبين أن الجملة وحدها غير كافية للكشف عن كنه المعنى أو المغزى في كثير من الأحيان، نعم في بعض الأحيان تكون الجملة كاشفة ومعبرة عن معناها ومضمونها بما لا يقبل الزيادة، لكنْ كثيرٌ من الجمل لا يمكن أن يفهم معناها إلا بمعرفة الملابسات الزمانية والمكانية أو ما يسمى «ما وراء اللغة» أو ما يسمى «ما فوق الجملة».

1- النص والخطاب والإجراء تأليف/روبرت دي بوجراند ص 89 -- 93.

2- علم لغة النص ص 129.

وهذا المنهج في التحليل اللغوي ليس ببعيد عن منهج السابقين من اللغويين العرب وإلا فكيف نفهم خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر في قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾[1]، الجملة في حد ذاتها لا توضح المعنى المقصود، بل إن المعنى المقصود بخلاف ذلك تمامًا، ومن ثم فلا بد من النظر إلى الجمل السابقة واللاحقة للتوصل إلى المعنى المراد.

المبحث الثاني: المعارضون لحتمية إدخال العناصر غير اللغوية

أجمع اللغويون على أهمية وفائدة الاعتماد على العناصر غير اللغوية أو ما يعرف بـ (ما وراء اللغة) في التحليل اللغوي أو التحليل النصي لكن الخلاف في كون هذه العناصر حتمية في التحليل اللغوي أو النصي أو غير حتمية.

وهنا ظهر فريقان من اللغويين، فريق يرى أن التحليل اللغوي للنصوص غير متوقف على معرفة العوامل غير اللغوية في فهم وتفسير النص واكتماله، وفريق آخر يرى أن معرفة السياق غير اللغوي وشخصية المتكلم والسامع والبيئة والعناصر المكانية والزمانية والعادات والتقاليد والثقافة مُبَيِّنَة وكاشفة عن معنى النص ومحددة لمدلوله وموضحة لمقصوده وهدفه، وفيما يلي مزيد من التوضيح والبيان:

ذهب اللغوي السويسري دي سوسير وهو مؤسس المدرسة البنيوية إلى أن اللغة تدرس من خلال بنيتها، وقال: «الهدف الحقيقي الوحيد لعلم اللغة هو أن اللغة تدرس في حد ذاتها ومن أجل ذاتها»[2].

تلك اللغة التي تدرس في ذاتها ومن أجل ذاتها هي ملكة مكتسبة من المجتمع، وعرفها بقوله: «اللغة نتاج اجتماعي لملكة اللسان ومجموعة من التقاليد الضرورية التي تبناها مجتمع ما ليساعد أفراده على ممارسة هذه الملكة»[3].

وفرق دي سوسير بين العناصر الداخلية والخارجية للغة فقال: «إن التعريف الذي قدمته للغة ينطوي على إبعاد كل شيء يقع خارج كيانها ونظامها، أو بعبارة أخرى كل ما يعرف بـ (علم اللغة الخارجي) بيد أن علم اللغة الخارجي يتناول أشياء مهمة كثيرة وهي

1- الدخان الآية/49.

2- علم اللغة العام تأليف/فردينان دي سوسور ص253، ترجمة د/يوئيل يوسف عزيز، مراجعة د/مالك يوسف المطلبي، ط/دار آفاق عربية بغداد سنة 1985 م.

3- السابق ص27.

الأشياء التي تخطر على بالنا حين نبدأ بدراسة اللسان»[1].

فدي سوسير فرق بين ما هو دخلي في النظام اللغوي وما هو خارجي، وأكد على أن العناصر الخارجية لا تدرس في مجال التحليل اللغوي وإنما تدرس في مجال علم اللغة الخارجي، وقد صرح د/حسن عبد العزيز بهذا المعنى حين قال: «وتعريف (سوسير) للغة يفترض سلفًا استبعاد أي شيء يخرج عن حدود بنيتها أو نظامها، وهذه المعارف يضعها في مجال ما يسميه علم اللغة الخارجي (External Linguistics)»[2].

وهذه نقطة جوهرية عند دي سوسير لأنه أراد أن يستقل علم اللغة بمعناه الواسع عن سائر العلوم، وبذلك لا يذوب في العلوم الأخرى وإنما هو علم مستقل يعتمد على تحليل بنية اللغة ونظامها ونسقها وبيان العلاقات بين تلك الأبنية وليس بالنظر إلى العناصر غير اللغوية التي تنتمي في الأصل إلي علوم أخرى كعلم النفس أو علم الاجتماع أو علم الفيزياء، يقول د/زكريا إبراهيم: «وإذا كانت اللغويات الخارجية وثيقة الصلة بدراسات أخرى ما زالت في دور التكوين كاللغويات الاتنولوجية، واللغويات السيكولوجية، واللغويات السوسيولوجية، فإن الدراسة الداخلية للغة قد قامت خارج نطاق الافتراضات الفلسفية المسبقة، سواء أكانت نفسانية أو معيارية، لأنها اتخذت منذ البداية طابعًا علميًا مستقلًا»[3].

وهذا هو الهدف الذي ناضل دي سوسير من أجله، وهو أن يستقل علم اللغة عن سائر العلوم وتكون له مباحثه الخاصة التي يستعين بها أصحاب العلوم الأخرى وليس العكس، «كان هدف دي سوسير الموضح أن يُعِد علم اللغة بوصفه علمًا، وأن يَحُدَّه عن علوم أخر بتحديد موضوعه ومناهجه الخاصة، وكانت تلك وقت إنشاء (الدروس) مهمة مشروعة؛ لأن الفلسفة أو علم النفس كان يدعي كلاهما باستمرار حقوقًا في علم اللغة»[4]

وإذا كان دي سوسير قد فرق بين العناصر الداخلية والعناصر الخارجية فهو أدخل العناصر الداخلية في مجال الدراسة الوصفية، وأدخل العناصر الخارجية في مجال الدراسة

1- السابق ص 39.

2- سوسير رائد علم اللغة، تأليف د/محمد حسن عبد العزيز ص 15، ط/دار الفكر العربي بالقاهرة من دون تاريخ.

3- مشكلة البنية أو أضواء على البنيوية تأليف د/زكريا إبراهيم ص 52، ط/دار مصر للطباعة سنة 2005 م.

4- مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى نعوم تشومسكي تأليف/بريجيته بارتشت، ترجمة د/سعيد حسن بحيري ص 289، ط/مؤسسة المختار للنشر والتوزيع بالقاهرة، سنة 1431 هـ - 2010 م.

التاريخية يقول دي سوسير: «أعتقد أن دراسة الظواهر اللغوية الخارجية مفيدة جدًا، ولكن القول أننا لا نستطيع فهم النظام اللغوي الداخلي من غير دراسة الظواهر الخارجية إنما هو كلام بعيد عن الحقيقة... وعلى العموم يمكن الاستغناء عن معرفة الظروف التي تساهم في تطور اللغة، بل إن في حالة بعض اللغات - مثل: الزندية والسلافية القديمة - لا تعرف هوية المتكلمين الأوائل بها، ولكن عدم توفر مثل هذه المعرفة لا يمكن في أي حال من الأحوال أن يعيق دراسة هذه اللغات دراسة داخلية واكتشاف التغييرات التي حدثت لها»[1].

وأعطى الأهمية للمجال الوصفي على المجال التاريخي، أو بمعنى آخر أعطى الأهمية لبنية اللغة على العناصر الخارجية، وإن كانت لها فائدة إلا أنها تدرس خارج النظام اللغوي، «مما جعله يعطي الصدارة لما هو (تزامني سكوني) على ما هو (تاريخي تطوري) ولم يكن هذا الاتجاه البنيوي في فهم الظاهرة اللغوية بمثابة إنكار تام لكل بعد تاريخي، ولكنه كان بمثابة رفض لأسبقية التفسير التاريخي على التفسير البنيوي»[2].

وكان الدافع لدي سوسير لعزل العناصر الخارجية هو استقلال الدراسة اللغوية، وجعلها علمًا متفردًا له سمات وخصائص مميزة له عن سائر العلوم، فهو يرى «أن تحليل المعنى يجب أن يكون مستقلًا عن المعايير الوجودية فوق اللغوية، وأن تحليل التعبير (الفنلجيا) يجب أن يكون مستقلًا عن المعايير الصوتية (فوق اللغوية المزعومة) والعلاقات بين العناصر، وليس العناصر نفسها هي موضوع العلم، وبوضع هذا في المقدمة على نحو تام يمكن فقط أن يتحقق هدف دي سوسير في علم لغة مستقل لا يعتمد على علم آخر»[3].

وهذه الاستقلالية لعلم اللغة هي التي جعلته يفرق بين اللغة والكلام، فاللغة ملكة ونظام، أما الكلام فهو فعل فردي لا يتحكم في أنظمة اللغة بل الذي يتحكم فيها هو المجتمع أو العقل الجمعي فنجده يقول: «اللغة تختلف عن الكلام في أنها شيء يمكن دراسته بصورة مستقلة، فاللغات البائدة (الميتة) مع أنها لم تعد تستخدم في الكلام، نستطيع بسهولة أن نتعلم أنظمتها اللغوية، فنتخلص من بقية عناصر اللسان الأخرى، بل إن علم

1- علم اللغة العام تأليف/فردينان دي سوسور ص 40 و 41.

2- مشكلة البنية ص 41.

3- موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، تأليف/ر. ه. روبنز ص 289، ترجمة د/أحمد عوض، ط/سلسلة عالم المعرفة بدولة الكويت سنة 1997 م.

اللغة لا وجود له إلا إذا أقصيت العناصر الأخرى»[1].

إن الهدف الذي من أجله تم حصر التحليل اللغوي داخل إطار اللغة هو عدم افتقار علم اللغة إلى متطلبات علوم أخرى، وإلا لما كان علمًا مستقلًا، ولذا وجهت سهام النقد إلى أصحاب المدارس الإشارية والسلوكية والتداولية حيث جعلوا الدراسة اللغوية متداخلة مع علوم أخرى كعلم النفس وعلم الاجتماع، وهو النقد الذي عبر عنه جيوفري ليتش (Geof-frey Leech) بقوله: «مشكلة اتجاهات أوجدن وريتشاردز وبلومفيلد في دراسة المعنى أن كلًا منهم حاول شرح السيمانتيك على ضوء متطلبات علمية أخرى..... إن البحث عن تفسير للظاه-رة اللغوي-ة خارج إطار اللغ-ة يشبه البحث عن منف-ذ للخ-روج من حجـرة ليس لها نواف-ذ ولا أبواب، المطلوب منا أن نقنع بتقصي ما هو موج-ود داخل الحج-رة، أي: ندرس العلاقات داخل اللغ-ة»[2].

ومن النقود التي وجهت للنظريات التي راعت العناصر غير اللغوية في التحليل اللغوي للنصوص أنها لا تتسم بالدقة والموضوعية لأنها غير محصورة في نطاق محدد، فالعادات والتقاليد والثقافة والمتكلم والسامع والحضور والظروف الزمانية والمكانية والملابسات النفسية والاجتماعية يمكن أن تدخل في التحليل اللغوي، وبذلك يخضع المعنى لهذه العوامل أكثر من خضوعه للبنية اللغوية.

وبناء على ما تقدم وجد أصحاب المدرسة البنيوية في البناء اللغوي ما يصبون إليه من الدقة والموضوعية في دراسة اللغة بصفة عامة والمعنى بصفة خاصة، «فالمعيار الشكلي للرصف[3] يعتبر معيارًا حاسمًا؛ لأنه أكثر موضوعية ودقة وقابلية للملاحظة»[4].

واستبعاد العناصر غير اللغوية في التحليل النصي هو أحد الاتجاهات التي سار عليها اللغويون في تحليلهم للنصوص، ويضاف إليه الاتجاه البلاغي ثم الاتجاه الفلسفي، ثم الاتجاه النفسي والاجتماعي، وقد أشار د/سعيد حسن بحيري إلى تعدد الاتجاهات في التحليل

1- علم اللغة العام تأليف/فردينان دي سوسور ص 33.

2- Semantics G.Leech Penguin Book,1974

نقلًا عن كتاب علم الدلالة د/أحمد مختار عمر ص 73، ط/عالم الكتب سنة 1998 م.

3- ع-رف اللغ-ويون الرصف بأنه: الارتباط الاعتيادي لكلمة ما في لغ-ة ما بكلمات أخرى معينة، وعرف - أيضًا -بأنه: استعمال وحدتين معجميتين منفصلتين استعمالهما عادة مرتبطتين الواحدة بالأخرى.

4- ينظر: علم الدلالة د/أحمد مختار عمر ص 74.

() علم الدلالة د/أحمد مختار عمر ص 78.

النصي «فمنها ما يعتمد على الملامح البلاغية، واتجاه آخر يعتمد على أسس فلسفية، وربط اتجاه ثالث بين مبادئ اجتماعية وأخرى نفسية، ورفض اتجاه رابع إدخال عناصر غير لغوية في التحليل النصي والإصرار على العناصر اللغوية وحدها؛ لأن البحث ينبغي أن يكون في اللغة ذاتها ومن أجل ذاتها»[1].

فالاعتماد على العناصر اللغوية في التحليل النصي دون الاعتماد على العناصر غير اللغوية هذا الاتجاه يمثل الاتجاه الشكلي في دراسة اللغة، وهو يعنى في الأساس بدراسة النظام اللغوي بعيدًا عن الملابسات الزمانية والمكانية والشخصية المحيطة بالنص، ويرى أصحاب هذا الاتجاه أنه يمكن الاستغناء بتحليل العناصر الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية دون الحاجة إلى معرفة الملابسات التي أنتج فيها النص أو معرفة قصد المتكلم أو المرسل، وقد انقسم أصحاب هذا الاتجاه إلى قسمين:

أحدهما: البنيوي الذي يعنى ببنية النص بمعزل عن قائله أو الجو المحيط به، بمعنى دراسة اللغة ذاتها.

والآخر: التوليدي الذي يعنى بتفسير النص في عمقه وقبل أن ينجز عن طريق الاعتماد على المنطق والرياضيات، وبذلك تخضع اللغة للقياسات المنطقية والقواعد العلمية، ويتحقق لها النظام والانضباط في التحليل وفقًا للمنهج العلمي.

ولعل أهم ما يميز الجانب الشكلي أو الصوري هو الحرص الشديد على التماسك بين أجزاء الجملة أو الجمل وتنظيم العلاقات بينها «لب نظرية سوسير اللغوية هو فهم اللغة على أنها نظام علامات، نظام كل عناصره متماسكة، أي: فيه يقتضي كل شيء الآخر بشكل متبادل، فيه كل عنصر يتحدد من خلال موقعه في الشبكة الكلية للعلاقات»[2].

ولا يتحقق ذلك إلا بالاعتماد على العناصر الداخلية؛ لأن اللغة نظام له ترتيبه الخاص به، أما العناصر الخارجية فهي أمر نسبي يختلف باختلاف الظروف والملابسات التي تحيط بالنص.

1- علم لغة النص ص 44و45.

2- مناهج علم اللغة ص 127.

المبحث الثالث: المؤيدون لدخول العناصر غير اللغوية في التحليل النصي

إذا استثنينا أصحاب المدرسة الشكلية والبنيوية فإن جمهور اللغويين يرون ضرورة وحتمية إدخال العناصر غير اللغوية في التحليل اللغوي، يقول جون لاينز: «ينبغي التأكيد على أن الوحدات الكلامية للغة الطبيعية ليست مجرد سلسلة أو خيوطًا من صيغ الكلمات، فهناك مكون لا كلامي يفرض دائمًا وبالضرورة فوق المكون الكلامي في كل وحدة كلامية محكية»[1].

إن الاعتماد على العناصر غير اللغوية في التحليل اللغوي بدأ النظر إليها منذ وقت مبكر في الدراسات اللغوية، فقد تحدث سيبويه عن (الاستقامة من الكلام والإحالة) ورأى أن صحة التركيب النحوي لا تقبل إلا إذا كانت مطابقة للحال والواقع فإذا خالف التركيب الواقع فهو كلام مستقيم ولكنه كذب، كما أشار إلى دور المخاطب في تأويل الكلام وتفسير المعنى المراد فقال: : «وسألت الخليل عن قوله جل ذكره ﴿حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾[2] فقال: إن العرب قد تترك في مثل هذا الخبر الجواب في كلامه--م لعلم المُخْبَر (المخاطَب) لأي شيء وضع هذا الكلام»[3].

كما سبق ابنُ جني اللغوي البولندي برونيسلاف كاسبر مالينوفسكي عندما تكلم عن شاهد الحال أو شاهد الموقف فقال: «وبعد، فالحمَّالون والحمَّاميُّون والساسة والوقَّادون ومن يليهم ويُعْتدُّ منهم، يستوضحون من مشاهدة الأحوال ما لا يحصِّله أبو عمرو من شعر الفرزدق إذا أُخْبِر به عنه، ولم يَحضره يُنشده، أوَلا تعلم أن الإنسان إذا عناه أمر فأراد أن يخاطب به صاحبه ويُنْعِم تصويره له في نفسه استعطفه ليُقبل عليه فيقول له: يا فلان، أين أنت؟ أرني وجهك، أقبل عليَّ أحدِّثك... فلو كان استماع الأُذُن مغنيًا عن مقابلة العين مجزئًا عنه لما تكلف القائل، ولا كلف صاحبه الإقبال عليه والإصغاء إليه»[4].

1- اللغة والمعنى والسياق تأليف/جون لا ينز ص 28، ترجمة د/عباس صادق الوهاب، مراجعة د/يوئيل عزيز، ط/دار الشؤون الثقافية العامة ببغداد سنة 1987 م.

2- الزمر من الآية/73.

3- كتاب سيبويه لأبي بشر عمرو بن قنبر المعروف بـ(سيبويه) 3/13، تحقيق/عبد السلام محمد هارون، ط/مكتبة الخانجى بالقاهرة، الطبعة الثالثة سنة 1408 هـ/1988 م.

4- الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جنى 1/246، 247، تحقيق/محمد على النجار، ط/المكتبة العلمية.

وكأن ابن جني هنا يريد أن يقول: ليس بعد العين أين، فمشاهدة الأحوال أقوى في ثبوت الدلالة من الحلف بأغلظ الأَيمان، وقديمًا قالوا: فما راءٍ كمن سمع[1].

أما البلاغيون فقد ربطوا بين المقال وهو يعتمد على الكلمات والجمل والنص والعلاقات التي تربطها وبين المقام وهو اجتماعي ونفسي، وهذا من أفضل ما قدمته البلاغة العربية للدراسة اللغوية، وقد اعترف الغربيون بالفضل في ذلك لعلماء العربية المتقدمين، يقول د/تمام حسان: «وإذا علمنا أن علم المعاني يتناول المعنى الوظيفي, وأن علم البيان يتناول المعنى المعجمي, وأن علم البديع يتناول صنعة فنية لا يتحتم فيها أن تتصل بالمعنى, علمنا أن البلاغة العربية لا تتناول المعنى الاجتماعي تناولًا مقصودًا, ولكنها على الرغم من ذلك قدَّمت لدراسة المعنى الاجتماعي أو المعنى الدلالي كما أسميه في هذا البحث, فكرتين تعتبران اليوم من أنبل ما وصل إليه علم اللغة الحديث في بحثه عن المعنى الاجتماعي الدلالي, وأولى هاتين الفكرتين فكرة «المقال» Speech event, والثانية فكرة «المقام» Context of situation, وأنبل من ذلك أن علماء البلاغة ربطوا بين هاتين الفكرتين بعبارتين شهيرتين أصبحتا شعارًا يهتف به كل ناظر في المعنى: العبارة الأولى «لكل مقام مقال», والعبارة الثانية «لكل كلمة مع صاحبتها مقام»[2].

لكن يؤخذ على علماء البلاغة أنهم نظروا إلى المقامات على أنها قوالب يمكن أن تستنسخ في أكثر من موقف فهناك، مقام المدح، وهناك مقام التهنئة، وهناك مقام الحزن... إلخ، أما اللغويون فينظرون إلى المقامات على أنها عناصر متحركة ولها دور في تشكيل المعنى وتؤثر فيه، وقد أشار د/كمال بشر إلى أن البلاغيين قد وفقوا في إدراك شيء مهم في الدرس اللغوي وهو المقام، ولكنهم - كعادتهم - طبقوه بطريقتهم الخاصة، لقد كانت عنايتهم في المقام موجهة نحو الصحة والخطأ أو نحو الجودة وعدمها، ولهذا كانت نظرتهم إلى المقام أو مجريات الحال أو ما يسميه هو المسرح اللغوي نظرة معيارية لا وصفية، وأوجبوا أن يأتي الكلام على صفات مخصوصة ونماذج معينة، طبقًا لمقامه ومقتضيات حاله[3].

1- ينظر: الدلالة المقامية بين النظرية والتطبيق ص 185، بحث للمؤلف منشور في مجلة كلية البنات الإسلامية بأسيوط، العدد السادس عشر سنة 2019 م.

2- اللغة العربية معن-اها ومبناه---ا د/تم--ام حسان ص 20، ط/الهيئ--ة المصري--ة العام--ة للكتاب، سنة/1979م.

3- ينظر: دراسات في علم اللغة (القسم الثاني: الأصوات) ص 64، ط/دار المعارف بمصر القاهرة سنة 1971 م.

وكان د/تمام حسان واضحًا عندما فرق بين فهم البلاغيين وفهم اللغويين لمقتضى الحال فقال: «لقد فهم البلاغيون (المقام) أو(مقتضى الحال) فهمًا سكونيًا قالبيًا نمطيًا مجردًا على نحو ما جرد النحاة أصل الوضع للحرف وللكلمة وللجملة، ثم قالوا: لكل مقام مقال... فهذه المقامات نماذج مجردة، وأطر عامة، وأحوال ساكنة ذات مقتضيات يوزن بها السلوك الحي، ويصب في قالبها، بهذا يصبح المقام عند البلاغيين سكوني؛ لأنه حال أو(static)، فالذي أقصده بالمقام ليس إطارًا ولا قالبًا، وإنما هو جملة الموقف المتحرك الاجتماعي الذي يعتبر المتكلم جزءًا منه، كما يعتبر السامع والكلام نفسه، وغير ذلك مما له اتصال بالتكلم (speech event)، وذلك أمر يتخطى مجرد التفكير في موقف نموذجي ليشمل كل عملية الاتصال من الإنسان والمجتمع والتاريخ والجغرافيا والغايات والمقاصد، وعلى الرغم من هذا الفارق بين فهمي وفهم البلاغيين للمصطلح الواحد، أجد لفظ (المقام) أصلح ما أعبر به عما أفهمه من المصطلح الحديث (Context of situation) الذي يستعمله اللسانيون المحدثون»[1].

وقد استقى مؤسسو علم النص هذه الأفكار التي وضعها البلاغيون، وأشاروا إلى حتمية استيفاء القصدية والمقبولية ومراعاة الموقف أو الموقفية حتى يكون النص نصًا.

والعناصر غير اللغوية التي تدخل في التحليل النصي غير محددة أو غير محصورة، فكل ما يساعد في كشف المعنى وتفسير النص هو داخل في المجال اللغوي وقد ظهر ذلك جليًا عند أصحاب المدرسة التداولية، الذين يرون أن التحليل اللغوي لا بد وأن يراعى فيه العناصر الحسية والنفسية والاجتماعية والعادات والتقاليد وثقافة المتكلم والسامع والعناصر الجغرافية والتاريخية المؤثرة في تفسير المعنى وتحديد دلالة النص، يقول د/ محمود السعران: «ثمة عناصر غير لغوية ذات دخل كبير في تحديد المعنى، بل هي جزء أو أجزاء من معنى الكلام، وذلك كشخصية المتكلم، وشخصية المخاطب، وما بينهما من علاقات، وما يحيط بالكلام من ملابسات وظروف ذات صلة به، كالجو - مثلًا -، أو الحالة السياسية... إلخ»[2].

1- الأصول دراسة إبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، د/تمام حسان ص 303، 304، ط، عالم الكتب، سنة 1420 هـ -- 2000 م.

2- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ص 263، ط/دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت - لبنان، والمعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث د/محمد أحمد أبو الفرج ص 95، ط/دار النهضة العربية للطباعة والنشر، سنة 1966 م.

وقد كان د/سعيد حسن بحيري واضحًا ومحددًا عندما قال بحتمية مراعاة العناصر غير اللغوية في تحليل النصوص - على الرغم من اعتراض بعض الباحثين - وقال: «لم يعد يُكْتَفَى بعلم يدرس العناصر اللغوية فحسب، بل لوحظ أن العناصر غير اللغوية لا تقل أهمية عن العناصر اللغوية، ومن ثم يجب إدراجها في الوصف ولا يتوقف علم النص على ما يقدمه النحو من وصف دقيق للنظام اللغوي المجرد، بل يبحث عن كيفية اكتساب هذا النظام وتحديد القواعد والعمليات المعرفية التي يتم ذلك من خلالها، ويبحث - أيضًا - القواعد والاستراتيجيات التي تحكم عمليات إنتاج النصوص وفهمها، ويراعي في دراسة الأشكال النصية جوانب اتصالية وتداولية وأسلوبية ودلالية ونحوية بصورة حتمية»[1].

أما عن الأسباب والدوافع التي ألجأت علماء اللغة إلى ضرورة مراعاة العناصر غير اللغوية في التحليل النصي فيمكن بيانها فيما يلي:

أولًا: الدور المؤثر والوظيفة الاجتماعية للغة يؤدي إلى صعوبة الفصل بين اللغة والمواقف الاجتماعية والعناصر الخارجية، وإذا حاولنا فصل اللغة عن المواقف الاجتماعية فربما استقام فهم المعنى في بعض الجمل أو النصوص لكن من المؤكد أننا حتمًا نحتاج إلى معرفة الملابسات والقرائن لفهم بعض النصوص الأخرى.

ثانيًا: الاكتفاء بالعناصر اللغوية في التحليل يتفق مع تحليل الجمل أو التحليل الجُملي لأن بينها علاقات نحوية تتسم بالاطراد والثبات، أما النص فهو مجموعة من العناصر والوقائع والمعلومات المتتابعة والمترابطة.

ثالثًا: مما لا شك فيه أن هناك بعض الاستعمالات التي يختلف معناها الظاهري عن معناها المراد أو المقصود البعيد عن المعنى الظاهر، وهنا لا يكتفى بالعناصر اللغوية في الوصول إلى الهدف من النص وهو الفهم والتفسير، ولنضرب لذلك مثالًا: عندما نقول: رفع فلان عقيرته، ونقصد أنه رفع صوته، فإن الاعتماد على السياق اللغوي وحده هنا يؤدي إلى الخطأ والزلل، لأننا لا نستطيع أن نقول إن العقيرة معناها الصوت، وإنما هو رجل قطعت إحدى رجليه فرفعها وصرخ بأعلى صوته فقيل: رفع عقيرته.

وهنا برز للوجود رأي جديد قسم المعنى إلى ثلاثة مستويات: «المعنى اللغوي وهو المعنى المأخوذ مباشرة من دلالة الكلمات والضمائم والجمل، ومعنى الكلام وهو المعنى

1- علم لغة النص ص 169.

السياقي، ثم المعنى الكامن أو الموجود بالقوة وهو معنى المتكلم، ولإيضاح ذلك نسوق المثال الآتي: إذا قال لك شخص في سياق محدد: أهذه سيارتك؟ فالسياق الذي ألقى فيه السؤال لا يدع مجالًا للشك في أن(هذه) تشير إلى شيء محدد هو السيارة، وأن الضمير (الكاف) يشير إليك، وعلى الرغم من أنه ليس هناك مشكلة في فهم معنى الكلام (وهو المستوى الأول من معنى المتكلم) فإنك حتى هذه اللحظة قد لا تكون وصلت إلى معنى المتكلم أو فهم القوة (force) التي تكمن خلف هذا السؤال، هل المتكلم يريد إجابة عن سؤاله بنعم أو لا أو أنه يخرج عن هذا المعنى الحقيقي إلى مقصود آخر هو التعبير عن اللوم؛ لأن سيارتك سدت طريق المرور على السيارات الأخرى؟ وهذا هو معنى المتكلم»[1].

فمما لا شك فيه أن المعنى اللغوي مستفاد من المعنى الوظيفي (الصرفي والنحوي) والمعنى المعجمي للكلمات وهو معنى مستخلص من استعمالات الكلمات في السياقات اللغوية المتعددة، والمعاني اللغوية للجمل مأخوذة من بنية اللغة ومن نظامها ونسقها، أما معنى الكلام فهو المعنى الزائد على المعنى اللغوي وهو معنى مستفاد من دلالات الكلمات والجمل في مجال الاستعمال والحدث الفعلي المصاحب للنطق بهذه الكلمات أو الجمل، أما المعنى الكامن فهو معنى مستفاد من قصد المتكلم المحدد للمعنى المراد، والمعنى اللازم للمعنى المتبادر أو اللازم للمعنى الظاهر.

وذهب بعض الباحثين إلى أن المعنى له مستويات تتمثل فيما يلي:

أ- المعنى الوظيفي المستفاد من الجانب الصرفي والنحوي.

ب- المعنى المعجمي للألفاظ، وهو معنى مستفاد من معجمات اللغة.

ج- المعنى المقامي الذي يكوِّن معهما ما يعرف بالمعنى الدلالي[2].

فلا مناص من الاعتراف بالعناصر غير اللغوية وأثرها في بيان المعنى، وهذا لا يؤثر في نظام اللغة ونسقها، ويلزم من ذلك الاعتراف بكون الكلام المستعمل والمنطوق وقصد المتكلم وتأويل السامع أو تفسيره كلها عناصر داخلة في التحليل اللغوي للنصوص، وذلك حتى يكون التحليل دقيقًا ومحددًا وواضحًا، وبذلك أيضًا - تتحقق الكفاءة اللغوية لدى

1- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر د/محمود أحمد نحلة ص 13، ط/دار المعرفة الجامعية سنة 2002 م.

2- ينظر: مفاهيم لسانيات النص في دلائل الإعجاز، تأليف/سمية ابرير ص 173، ط/مجلة علمية محكمة تصدرها جامعة محمد خيضر بسكرة (الجزائر)، سنة 2011 م.

المرسل والمستقبل على حد سواء.

ولا تخفى أهمية هذه الجوانب في دراسة اللغة، وهي تقوم على دراسة اللغة في مجال الاستعمال «فللمتكلم من الأغراض ما لا يتفق مع المحافظة على القواعد، تلك هي الأغراض التي تدعو للخروج من الحقيقة إلى المجاز، ومن المطابقة إلى الترخيص في معايير الإجراء بوسائل كالنقل والحذف والزيادة ومخالفة القاعدة والتعويل على الدلالات الصوتية والعقلية والتقديم والتأخير والإيماءات الجسمية والتعويل على دلالة الموقف أثناء الاتصال وعلى القرائن التاريخية والجغرافية وغيرها مما يخرج عن مجال دراسة القواعد النحوية»[1].

وقد أشار د/تمام حسان إلى ضرورة الجمع بين المنهجين والاتجاهين السابقين في دراسة اللغة، هذان الاتجاهان هما: الاتجاه البنيوي التحليلي والاتجاه النصي التداولي، «وليس لأحد الاتجاهين أن يلغي الآخر، فلا الاعتراف بالنصية يلغي الدراسات التحليلية، ولا تغني الدراسات التحليلية عن الاعتراف بالدراسة النصية، وفي تراثنا العربي من الدلائل ما يشير إلى ضرورة الجمع بين المنهجين»[2].

وقد ظهر هذا الجمع بين المنهجين واضحًا جليًا في علم البلاغة العربية، فلم يفرق علماء البلاغة بين اللغة في نظامها ونسقها والكلام في مجال النطق والاستعمال، وأشاروا إلى التفاعل الذي يحدث بين اللغة ومستعمليها والتناغم بين المعاني المستفادة من البنية اللغوية والمعاني المستفادة من الحال والمقام، يقول السكاكي: «لا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام الشكر يباين مقام الشكاية، ومقام التهنئة يباين مقام التعزية، ومقام المدح يباين مقام الذم، ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب، ومقام الجد في جميع ذلك يباين مقام الهزل، وكذا مقام الكلام ابتداء يغاير مقام الكلام بناء على الاستخبار أو الإنكار، ومقام البناء على السؤال يغاير مقام البناء على الإنكار، جميع ذلك معلوم لكل لبيب، وكذا مقام الكلام مع الذكي يغاير مقام الكلام مع الغبي، ولكل ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر، ثم إذا شرعت في الكلام فلكل كلمة مع صاحبتها مقام، ولكل حد ينتهي إليه الكلام مقام»[3].

1- مقدمة المترجم لكتاب النص والخطاب والإجراء ص 4.

2- السابق ص 4.

3- مفتاح العلوم، تأليف أبي يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي، تح/عبد الحميد هنداوي ص 256، ط/دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، سنة 1420 هـ، 2000 م.

فالربط بين اللغة والمواقف الاجتماعية نادى به مؤسسو علم النص وتحليل الخطاب أمثال زاليج هاريس ودي بوجراند وفان دايك وغيرهم، وأعطوا السياقات الثقافية والاجتماعية والنفسية الرعاية الأساسية في تحليل النصوص.

ويمكن أن نخلص من هذه الدراسة بالنتائج الآتية:

أولًا: لم تفصل الدراسات اللغوية العربية بين اللغة والكلام أو بين نظام اللغة ومجال استعمالها، فهناك ترابط وثيق بين اللغة كملفوظات وبين الوضعية الاجتماعية التي تساعد في تحديد المعنى وهو الهدف الأسمى من استعمال التراكيب والجمل والنصوص اللغوية.

ثانيًا: ظهرت المدرسة البنيوية في الغرب بدافع استقلال علم اللغة عن سائر العلوم الاجتماعية والنفسية والسلوكية، ورأت البنيوية أن دراسة اللغة ينبغي أن تكون من داخل اللغة وليس من خارجها، فما هو خارج اللغة يخضع لعلوم أخرى تعنى بدراسته وتحليله، ولا مانع أن ينتفع علم اللغة بنتائج هذه العلوم في دراسة اللغة، لكنها تظل دراسة لغوية من خارج إطار اللغة.

ثالثًا: أعاد علم النص الاعتبار إلى العناصر الخارجية، ولم يقص ما هو خارج البنية اللغوية من التحليل اللغوي، ويعد هذا إثباتًا لوجهة النظر اللغوية العربية في اعتبار العناصر الخارجية ومراعاتها في تحليل النصوص وإعطائها الأهمية الكبرى في التحليل.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم جل من أنزله.
- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر د/محمود أحمد نحلة، ط/دار المعرفة الجامعية سنة 2002 م.
- الأصول دراسة إبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، د/تمام حسان، ط/عالم الكتب، سنة 1420 هـ -. 2000 م.
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك للإمام/أبي محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف الأنصاري المعروف بابن هشام المصري، تحقيق/محمد محيي الدين عبد الحميد، ط/منشورات المكتبة العصرية صيدا بيروت.
- بلاغة الخطاب وعلم النص د/صلاح فضل، ط/سلسلة عالم المعرفة بدولة الكويت، سنة 1992 م.
- التحليل اللغوي للنص مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، ترجمة د/سعيد حسن بحيري، ط/مؤسسة المختار للنشر والتوزيع بالقاهرة سنة 2005 م.
- الخصائص لأبى الفتح عثمان بن جنى، تحقيق/محمد على النجار، ط/المكتبة العلمية.
- دراسات في علم اللغة (القسم الثاني: الأصوات)، ط/دار المعارف بمصر القاهرة سنة 1971 م.
- الدلالة المقامية بين النظرية والتطبيق، بحث للمؤلف منشور في مجلة كلية البنات الإسلامية بأسيوط، العدد السادس عشر سنة 2019 م.
- سوسير رائد علم اللغة، تأليف د/محمد حسن عبد العزيز، ط/دار الفكر العربي بالقاهرة من دون تاريخ.
- العربية من نحو الجملة إلى نحو النص د/سعد مصلوح، وهو بحث منشور ضمن الكتاب التذكاري لذكرى أ/عبد السلام محمد هارون، طبعة الكويت سنة 1990 م.
- علم الدلالة د/أحمد مختار عمر، ط/عالم الكتب سنة 1998 م.

- علم اللغة العام تأليف/فردينان دي سوسور، ترجمة د/يوئيل يوسف عزيز، مراجعة د/مالك يوسف المطلبي، ط/دار آفاق عربية بغداد سنة 1985 م.
- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي د/محمود السعران، ط/دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت - لبنان.
- علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات تأليف د/سعيد حسن بحيري، ط/مؤسسة المختار للنشر والتوزيع سنة 2003 م.
- علم النص مدخل متداخل الاختصاصات تأليف فان دايك ترجمه إلى العربية د/ سعيد حسن بحيري ط/دار القاهرة للكتاب سنة 2001 م.
- في أصول الحوار وتجديد علم الكلام تأليف د/طه عبد الرحمن، ط/المركز الثقافي العربي الدار البيضاء سنة 2000 م.
- كتاب سيبويه لأبى بشر عمرو بن قنبر المعروف بـ(سيبويه)، تحقيق/عبد السلام محمد هارون، ط/مكتبة الخانجى بالقاهرة، الطبعة الثالثة سنة 1408 هـ/1988 م.
- اللغة العربية معناها ومبناها د/تمام حسان، ط/الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة/1979م
- اللغة والمعنى والسياق تأليف/جون لا ينز، ترجمة د/عباس صادق الوهاب، مراجعة د/يوئيل عزيز، ط/دار الشؤون الثقافية العامة ببغداد سنة 1987 م.
- مشكلة البنية أو أضواء على البنيوية تأليف د/زكريا إبراهيم، ط/دار مصر للطباعة سنة 2005 م.
- المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث د/محمد أحمد أبو الفرج، ط/ دار النهضة العربية للطباعة والنشر، سنة 1966 م.
- مفاهيم لسانيات النص في دلائل الإعجاز، تأليف/سمية ابرير، ط/مجلة علمية محكمة تصدرها جامعة محمد خيضر بسكرة (الجزائر)، سنة 2011 م.
- مفتاح العلوم، تأليف أبي يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي، تح/عبد الحميد هنداوي، ط/دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، سنة 1420 هـ - 2000 م.

- المفصل في علم العربية تأليف/أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق د/ فخر صالح قدارة، ط/دار عمار للنشر والتوزيع بالأردن سنة 1425 ه - 2004 م.
- مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى نعوم تشومسكي تأليف/بريجيته بارتشت، ترجمة د/سعيد حسن بحيري، ط/مؤسسة المختار للنشر والتوزيع بالقاهرة، سنة 1431 هـ 2010 م.
- موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، تأليف/ر. ه. روبنز، ترجمة د/أحمد عوض، ط/ سلسلة عالم المعرفة بدولة الكويت سنة 1997 م.
- النص والخطاب والإجراء، تأليف/روبرت دي بوجراند، ترجمة د/تمام حسان، ط/عالم الكتب بالقاهرة، سنة 1418 هـ 1998 م.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع للإمام/جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق/أحمد شمس الدين، ط/منشورات محمد على بيضون دار الكتب العلمية بيروت - لبنان سنة 1418 هـ، 1998 م.

فهرس الموضوعات

م	اسم الباحث	عنوان البحث	الصفحة
1	د. فدوى تاوريريت أ. أمينة هلال	تداوليّة الخطاب الشّعري قراءة في تحوّلات مقاصد الشّعر العربيّ المعاصر	5
2	لبنى علي المفتاحي	مناهج الحداثة وما بعدها ومقاربة النص التراثي العربيّ	31
3	د. عبد الحميد إدريس الراقي	قضايا النّصّ عند الأصوليّين.. رصد لآليات الاشتغال	51
4	د. مريم عطية بوزيان	المنهج الأصولي والنظريات اللسانية قراءة في السّبق والضّبط	73
5	د. سليمان عبد القادر جبار	موارد تَشَكُّلِ النص القرآني في الدراسات الحداثية والاستشراقية	101
6	د. محمد أمجد رازق بن محمد رازق	علاقة التراث الإسلامي بمناهج البحث العلمي المعاصر -كتب الحديث النبوي وعلومه أنموذجا-	141
7	أ. د. الرشيد بوشعير	البنية البوليفونية في رواية «الديوان الإسبرطي» لعبد الوهاب عيساوي	167
8	د. خالد أحمد	قراءة نقدية من خلال نظريات ما بعد الحداثة للنص المسرحي تنصيص للكاتب فهد ردة الحارثي	181
9	د. لطيفة محمد الفارسي	شخصيات النصّ السرديّ في بنية القصص النبويّ. من القراءة المورفولوجية إلى القراءة الإحالية	229
10	أ. د. محمد عبد الحي	قراءة النص الأدبي بين التراث والمعاصرة	257
11	د. مونية مكرسي	قراءة النص اللغوي بين التراث والمعاصرة «مقاربة تأويلية في قصيدة وصف الحمى للمتنبي»	295
12	د. يونس إبراهيم أحمد العِزّي	الشعر الصوفي والتأويل أقنعة النص ومغامرة المنهج (مقاربة نظرية)	331
13	د محمد عبد الحليم أبو عرب	خطاب النبي في القرآن دراسة تداولية	371
14	د. فتيحة دوار	جُهود مالكية الغرب الإسلامي في خدمة النّص القرآني من خلال التفسير الفقهي للقرآن الكريم	401
15	د. مريم محمد بن خاتم الشامسي	نحو مفهوم جديد للقراءة البيداغوجية	437
16	د. أحمد محمد نجيب د. مجاهد جمال الحوت	التحليل اللغوي لألفاظ القرآن الكريم بين التراث والمعاصرة الزمخشري وابن عاشور أنموذجًا	455
17	محمد بن حسين الأنصاري	عُرْف النَّص التراثي رؤية منهجية من منظور التكامل في الدراسات البينية	489

18	أ. د. أحمد عبد الرحيم أحمد فراج	موقف اللغويين من العناصر غير اللغوية في التحليل النصي	535
19	عزيز محمد أوسو	البلاغة العامة وتحليل النصوص الأدبية سؤال في البنية المصطلحية	561
20	أ. آمنة مصبح القايدي	أَعْجُوبَةُ النَّصّ عِنْدَ عَبْدِ القَاهِرِ الجُرْجَانِيّ (دَلَائِلُ الإِعْجَازِ أُنْمُوذَجًا)	589
21	أ. شيخة عبدالله الزعابي	الشاهد النحوي في معجم مقاييس اللغة لابن فارس	605
22	د. حسين عمر دراوشة	قراءة النص اللغوي تداوليًا بين التراث والمعاصرة في الدراسات العربية نقد وتوجيه	637
	أبحاث سمينار الوصل		659
23	ابتسام هائل غيلان المذحجي	الآثار الجانبية للدواء في مرحلة التجارب على الإنسان دراسة فقهية	661
24	أ. تيمور سعيد أحمد شحي	تحقيق مخطوط في التراث الإسلامي موسوم بـ: يتيمة الدهر في فتاوى أهل العصر	675
25	أ. إسماعيل محمد حسن	اختيارات الرُّوْيَانِيّ (ت502هـ) في العبادات من كتابه حِلْية المؤمن: دراسة فقهية مقارنة	683
26	أ. محمد عطا الله فهد الثوابيّة	الأبعاد الفكريّة والتعليميّة في المثال النّحوي دراسة تداوليّة	689
27	أ. محمد حسين بصمه جي	التجريب في الرواية العربية	727
28	أ. سمية أحمد سالم السويدي	علاقة النظام النحوي بلغة الشعر المتنبي نموذجًا	739

شارع زعبيل – دبي – الإمارات العربية المتحدة
هاتف: 97143961777+، فاكس: 97143961314+، ص. ب: 50106
البريد الإلكتروني: info@alwasl.ac.ae
موقع الجامعة: www.alwasl.ac.ae